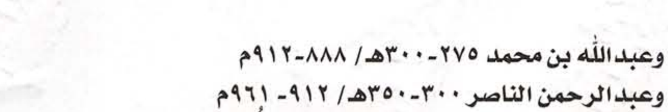


دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
قطاع الشئون الثقافية

المسلمون في الأندلس

٩٢ - ٨٩٧هـ / ٧١١ - ١٤٩٢م

هدية مجلة
الوعي الإسلامي
رمضان ١٤٢٧هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م



كانت شبة جزيرة إيبريا (اسبانيا والبرتغال اليوم) في العقد الأخير من القرن الهجري الأول تحكم من قبل قبائل القوط البربرية الأصل وتقول الروايات التاريخية أن تلك القبائل قبل استقرارها النهائي في «إيبريا» كانت تستوطن مناطق بحر البلطيق ثم تحركت جنوباً مثيرة العديد من المشاكل والاضطرابات للامبراطورية الرومانية فهاجمت تراقية واليونان وإيطاليا ودخلت روما عام ٤١٠م وأعملت فيها السلب والنهب ثم ارتدت هذه القبائل شمالاً وعقدت مع الإمبراطور الروماني صلحاً وأخيراً استقر بها المقام في أواسط فرنسا وجنوبها بعد أن اعتنقت النصرانية وامتد نفوذها الى إيبريا في نهاية القرن الخامس الميلادي وكان أمراء القوط سادة ايبريا حتى مجيء الفتح الإسلامي للأندلس.

إسبانيا والأندلس

تضم شبة جزيرة إيبريا اليوم دولتين هما (إسبانيا والبرتغال) فيما يطلق إسم «الأندلس» حالياً على ثمان محافظات في جنوب إسبانيا وهي: (المرية - غرناطة - جيان - قرطبة - مالطة- قادش- ولبة - إشبيلية) وكلمة الأندلس أطلقها المسلمون الفاتحون على جميع أجزاء ايبريا بعد الفتح وظلت التسمية قائمة حتى عندما تراجع الوجود الإسلامي إلى غرناطة فقط وتعود كلمة الأندلس في أصولها الإسبانية الى كلمة (الوندال) التي تعني مجوع القبائل البربرية الجرمانيه التي غزت ايبريا في القرن الخامس الميلادي وأقامت في طرفها الجنوبي الذي كان أنذاك يسمى (أندلوسيا)، وأما كلمة إسبانيا فتنسب حسب المصادر التاريخية لملك من الرومان إسمه (اشبان بن طيطش) وذكر بعضهم أن إسمه (أصبهان) وأنه هو الذي بني (إشبيلية) وأن إسبانيا كانت تطلق على إشبيلية فقط.

عهود الحكم الإسلامي في الأندلس

حكم المسلمون الأندلس ثمانية قرون ٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١- ١٤٩٢م

ومر هذا الحكم بسبعة عهود وهي كالآتي:

- عهد الفتح ٩٢-٩٥هـ/ ٧١١- ٧١٤م
- عهد الولاة ٩٥-١٣٨هـ / ٧١٤- ٧٥٥م
- عهد الإمارة الأموية ١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م
- عهد الخلافة ٣١٦-٤٠٠هـ/ ٩٢٨-١٠٠٩م
- عهد ملوك الطوائف ٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م
- عهد المرابطين والموحدين ٤٨٤-٦٢٠هـ/ ١٠٩١-١٢٢٣م
- عهد مملكة غرناطة ٦٢٠-٨٩٧هـ/ ١٢٢٣-١٤٩٢م

١ - الفتح الإسلامي للأندلس
٩٢ - ٩٥هـ / ٧١١ - ٧١٤م

أضاف فتح المسلمين للأندلس في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان قطراً واسعاً من أقطار أوربا فامتد الإسلام به على ثلاث قارات (آسيا - افريقيا - أوربا) وبهذا الفتح نجح المسلمون في دخول أوربا من الغرب بعد ان أخفقوا موقتاً في دخولها من الشرق والشائع أن فاتحي الأندلس قائدان هما: طارق بن زياد وموسى بن نصير لكن الحقيقة أنهم ثلاثة إذا ما اضفنا اليهما عبدالعزيز بن موسى بن نصير اذ يرجع الفضل له في إتمام الفتح شرقاً وغرباً بعدما غادر والده وطارق بن زياد الى عاصمة الخلافة في دمشق بناء على أمر الخليفة الوليد.

إسبانيا قبل الفتح الإسلامي

كانت اسبانيا قبل فتح المسلمين لها تحكم من قبل قبائل القوط وفي فترة الفتح الإسلامي كان يحكمها ملك ظالم يدعى «رودريك» (لذريق) فأبغضه الناس وفكروا بالثورة عليه بالاستعانة بالمسلمين في الشمال الأفريقي (عدا مدينة سبته التي ظلت تحت حكم القوط) وقد قام بمهمة الاتصال بالمسلمين حاكم سبته القوطي (يوليان) حيث اتصل بطارق بن زياد المقيم في مدينة طنجة القريبة من سبته يدعوه فيها لعبور البحر والقضاء على «لذريق» اعتقاداً منه أن المسلمين بعد أن يقضوا على «لذريق» سيعودون الى بلادهم محملين بالغنائم ويتسلم هو الحكم في اسبانيا ونسي أن المسلمين أصحاب رسالة ودعوة وأن ما يشغلهم هو نشر مبادئ الإسلام وتعريف الناس بدعوته الخالده.

وهكذا رحب طارق بالدعوة واتصل بوالي الخليفة الأموي على المغرب العربي المقيم في القيروان «موسى بن نصير» يستشيره في الفتح فنصحه بالتريث والتأكد من حقيقة الأمر وبعث موسى في الوقت نفسه رسولاً الى الخليفة الأموي في دمشق الوليد بن عبدالملك يستشيرة شارحاً له حقيقة الأوضاع في إسبانيا وقد تردد الخليفة بادئ الأمر خوفاً على المسلمين من الوقوع في المهالك ثم انشرح صدره واعطى أمره بالموافقة..

حملة «طريف بن زرعة» الاستطلاعية

أعطى موسى بن نصير أوامره لطارق ببدء الفتح، وما كان من طارق إلا أن وجه حملة استطلاعية بقيادة «طريف بن زرعة» سنة ٩١هـ/ ٧١٠م فنزلت في جنوب اسبانيا واتصلت بالسكان هناك وعادت محملة بالغنائم وتأكد لطارق صدق دعوة حاكم سبتة (يوليان) الأمر الذي شجعه على إكمال المهمة ولا تزال المنطقة التي نزل بها طريف تحمل اسمه حتى اليوم.

طارق والعبور العظيم

عبر طارق بن زياد بجيشة المكون معظمه من البربر المضيق في شعبان ٩٢هـ/ ابريل ٧١١م ونزل أولاً عند الجبل الموجود في أقصى جنوب إسبانيا والذي لايزال يحمل اسمه حتى اليوم.

وهناك بنى سوراً وقاعدة عسكرية لحماية ظهره في حال حدوث أي مفاجأة وتحرك بعدها بجيشه وعبر وادي اللكة ولما علم «لذريق» بالأمر اتجه لملاقاة طارق وعسكر بجيشه قرب مدينة (شذونة) وهناك جرت معركة فاصلة استمرت ثمانية أيام بدءاً من يوم الأحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢هـ/ ٧١١م، وكان النصر حليف المسلمين وفر لذريق من أرض المعركة ولحق به جند المسلمين وقتلوه وهكذا انفتحت أبواب اسبانيا أمام طارق وبدأت المدن الأسبانية تتساقط الواحدة تلو الأخرى حتى دخل طليطلة عاصمة القوط بعد أن فر منها كبار القوط وكبار رجال الدين وبعث بعدها طارق الى موسى طالباً المدد لإتمام الفتح.

موسى والمشاركة في الفتح

قرر موسى التوجه الى الأندلس على رأس جيش معظم أفراده من العرب فغادر القيروان عاصمة ولاية شمال افريقيا ووصل طنجة سنة ٩٣هـ/٧١٢م ومنها عبر المضيق وسار بجيشة في خط يختلف عن خط سير طارق وبعد شهر تم اللقاء بينهما في «طليطلة» واتجها معاً لمواصلة الفتح في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيبرية وفي هذه الأثناء وصلهما امر الخليفة الوليد بالقدوم لدمشق فلبيا الأمر وعين موسى ابنه عبدالعزيز والياً على الاندلس ريثما يعود من دمشق ولما وصل موسى وطارق الى دمشق كان الوليد بن عبدالملك قد توفي وانتقل الحكم الى أخيه سليمان وتؤكد المصادر التاريخية أنهما ظلا في دمشق ولم يعودا وانقطعت أخبارهما.

عبدالعزيز بن موسى ومتابعة الفتح

قضى عبدالعزيز أيام ولايته التي امتدت حتى رجب ٩٧هـ/ سبتمبر ٧١٦م في استكمال الفتح شرقاً وغرباً ففتح «مرسية» وقضى على جيوب المقاومة النصرانية ونظم الإدارة متبعاً سياسية الرفق واللين والاعتدال والوفاء بالعهد ولهذا اعتبره المؤرخون ثالث قواد الفتح وبوفاة عبدالعزيز بدأ عهد جديد إسمه عهد الولاة.

٢ - عهد الولاة ٩٧-١٣٨هـ/ ٧١٥- ٧٥٥م

يمكن القول ان عهد الولاة بدأ عام ٩٥هـ عندما اتجه موسى وطارق إلى دمشق تنفيذاً لأمر الخليفة الوليد وتعيين موسى لابنه عبدالعزيز والياً على الأندلس عام ٩٥هـ ولكن المؤرخين يعتبرون بدء عهد الولاة منذ بدأ الخليفة الأموي في دمشق بتعيين ولاة على الأندلس عام ٩٧هـ وقد تولى الولاية في الأندلس خلال هذه الفترة ٢٢ والياً من أبرزهم: ايوب بين حبيب اللخمي، والحر بن عبدالرحمن الثقفي، والسمح بن مالك الخولاني، وعنبسة بن سحيم الكلابي، وعبدالرحمن الغافقي، وعبدالله بن قطن الفهري وعقبة بن الحجاج السلولي، وعبدالملك بن قطن، وأبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، ويوسف بن عبدالرحمن الفهري.

وقد تميز عهد الولاة بعدم الاستقرار في الأندلس بسبب اتساع رقعة البلاد وظهور بعض النزعات العصبية بين أفراد الجيش الإسلامي الفاتح ورغبة بعض الولاة في إتمام الفتح في جنوب فرنسا وتعثر هذه المحاولات وخاصة في عهد السمح بن مالك الخولاني الذي عرف بالصلاح والتقوى والكفاءة والموهبة العسكرية حيث عبر بجيشه جبال البيرنيه الفاصلة بين فرنسا واسبانيا واستشهد في معركة قرب «تولوز» جنوب فرنسا سنة ١٠٢هـ/ ٧٢١م كما اثبت ايضاً عبدالرحمن الغافقي كفاءة وقدرة عندما اجتاز من جديد جبال البيرنية والتقى بجيوش الفرنجة في معركة «بواتيه» عام ١١٤هـ/٧٣٢م قرب مدينة «تور» الفرنسية وهناك أبدى الغافقي وجيشة بسالة نادرة وكاد أن يحقق النصر لكن إرادة الله كتبت له الشهادة وانسحب الجيش الإسلامي من جديد إلى الأندلس وكانت هذه المعركة آخر محاولة بذلها المسلمون لفتح أوربا من الغرب ولو كتب للمسلمين الانتصار على الفرنجة في معركة بواتيه لتغير وجه التاريخ كما قال المؤرخون من النصارى وغيرهم. وفي هذا الصدد يقول رئيس أساقفة فرنسا بعد سماع محاضرة عن الأندلس: ليت (شارل مارتل) قُطعت يده ولم ينتصر في معركة (بواتيه) لأنه أخَّر الحضارة عن فرنسا ستمائة سنة!

فتح الأندلس
٩٢ هـ - ٧١١ م
خط سير طارق بن زياد
خط سير موسى بن نصير
خطوط سير عبد العزيز بن موسى
المناطق التي فتحها المسلمون في الأندلس
منطقة فتحها المسلمون ثم انسحبوا منها
مقياس الرسم ١: ٥٥٠٠٠٠٠

٣- عهد الإمارة الأموية الأندلسية
١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م

عندما سقطت الدولة الأموية في دمشق العام ١٣٢هـ/ ٧٤٩م ولا حق العباسيون بني أميه تمكن أحد الأمويين وهو عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك من الوصول إلى الأندلس سنة ١٣٧هـ/ ٧٥٤م وجمع حوله الأنصار وتقدم نحو العاصمة قرطبة وانتصر على والي الأندلس يوسف الفهري في معركه «المصارة» ولقب بـ «عبدالرحمن الداخل» واستطاع بحنكته أن يبسط سيطرته على الأندلس وحكم ما بين ١٣٨-١٧٢هـ/ وتميز عهده بالعديد من الانجازات المعمارية وخاصة في قرطبة حيث بنى فيها قصراً عظيماً وسوراً وبنى العديد من المساجد وفي مقدمها المسجد الأموي الجامع الذي لايزال قائماً حتى الآن على الرغم من التعديلات التي طرأت عليه بعد خروج المسلمين من الأندلس، وقد تعاقب على الحكم بعده عدد من الأمراء منهم:

- هشام الأول بن عبدالرحمن ١٧٢- ١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م
- والحكم الأول بن هشام من ١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م
- وعبدالرحمن الثاني بن الحكم ٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م
- ومحمد بن عبدالرحمن ٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م
- والمنذر بن محمد ٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م
- وعبدالله بن محمد ٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م
- وعبدالرحمن الناصر ٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م

ويعد عهد هذا الأخير العهد الذهبي لبني أمية في الأندلس حيث أبدى جدارة منقطعة النظير فأعاد بناء الدولة بالخلق المتين وحسن التدبير وقضى على مكائد الفرنجة وأعلن الخلافة في قرطبة عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م وبنى مدينة الزهراء الى جانب قرطبة عام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م واعتنى بها عناية فائقة كما زاد في مساحة مسجد قرطبة وبنى محراب المسجد ليكون تحفة وآية من آيات الفن المعماري الإسلامي كما اهتم بالأسطول وضرب النقود وقد ساعدته فترة حكمه الطويلة التي أمتدت نصف قرن على تحقيق العديد من الإنجازات في كل مجالات الحياة الاقتصادية والمعمارية والعسكرية والفكرية.

٤- عصر الخلافة
٣١٦ - ٤٠٠هـ/ ٩٢٨-١٠٠٩م

بعد وفاة عبدالرحمن الناصر ٣٥٠هـ/ ٩٦١م

تعاقب على الحكم خليفتان هما:

١- الحكم بن عبدالرحمن الناصر الملقب بـ (المستنصر) ٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م

٢- هشام المؤيد بالله ٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٩/م ونظراً لصغر الخليفة هشام عند تولية الحكم فقد فرضت عليه وصاية ما أدى إلى تسلط بعض القادة وفي مقدمه م صاحب الشرطة والقضاء الحاجب «محمد بن أبي عامر» والذي أصبح الحاكم الحقيقي للأندلس في ظل وجود الخليفة وقد استأنف محمد بن أبي عامر مسيرة الجهاد التي توقفت فترة طويلة وغزا كما يقول المؤرخون اكثر من ٥٤ غزوة ضد خصومه من النصارى الذين كانوا يثيرون الفتن والقلاقل بين الفينة والأخرى ولم يهزم في غزواته قط ولم تسقط له راية لذا لقب بـ (المنصور) وفي عهده تحققت إنشاءات عظيمة في شتى مجالات الحياة وقد عده مؤرخو عصره اعظم الرجال في تاريخ الإسلام وبعد وفاته صدر أمر الخليفة هشام المؤيد بالله بتولية ابنه عبد الملك الحجابة وبعد عبد الملك تولى أخوه عبدالرحمن بن المنصور الحجابة وقد اطلق على هذه الفترة التي تولى فيها الحجاب الحكم في حضرة الخليفة بفترة الدولة العامرية وقد انتزع عبدالرحمن من الخليفة هشام المؤيد بالله منصب ولاية العهد لتنتقل الخلافة من أسرة بني أمية الى أسرة بني عامر لكن عبدالرحمن قُتل قبل ان يصل للخلافة العام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩ وأما الخليفة هشام المؤيد بالله فقد تم خلعه بثورة داخلية في جمادى الآخرة ٣٩٩هـ/ فبراير ١٠٠٩م تزعمها محمد بن هشام بن عبدالجبار الذي لُقب بـ (المهدي) وبذلك انتهى عصر الخلافة وبدأ عصر جديد أطلق عليه اسم عصر «ملوك الطوائف».

٥- عصر ملوك الطوائف
٤٠٠-٤٨٤هـ/ ١٠٠٩-١٠٩١م

ترتب على سقوط الخلافة ظهور الفوضى والانقسامات الداخلية وتجزأت الأندلس الى دويلات متنازعة ومن أهمها دولة بني حمود ٣٩٩-٤٢٢هـ والغالب على هذه الدويلات أن المتنفذين فيها كانوا يمثلون ثلاثة اتجاهات:

- حزب أهل الأندلس وغالبيتهم من العرب.
- حزب البربر (ومعظمهم من شمال أفريقيا).
- حزب الصقالبة (وهم من الشعوب السلافية والأرقاء الذين جُلبوا من الأمم المسيحية).

وقد اصطدمت مصالح هؤلاء جميعاً لدرجة أنه اجتمع في الأندلس أربع خلفاء في زمن واحد وقد تميزت هذه الفترة بازدياد النفوذ الفرنسي وظهور الملك الكاثوليكي «الفونسو السادس» في الشمال الإسباني، حيث تقدم بجيشة نحو طليطلة واحتلها العام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م وعلى الرغم من هذه الصورة القاتمة في هذه المرحلة إلا أن الجانب العلمي كان مزدهراً ومعظم ملوك الطوائف كانوا من الأدباء والشعراء والعلماء وبرز في هذا العصر مجموعة من العلماء الكبار أمثال: ابن حزم والباجي واللغوي ابن سيدة (علي بن اسماعيل) والعلامة ابن عبدالبر كما شهدت المرحلة نبوغ عدد من الفلكيين والجغرافيين وازدهرت الصناعات وأقبلت السفن من شتى الأرجاء نحو موانئ الأندلس لنقل السلع والبضائع الأندلسية.

٦- عصر المرابطين والموحدين
٤٨٤-٦٢٠هـ/ ١٠٩١- ١٢٢٣م

في الوقت الذي كانت فيه الأندلس تعيش حال من الفوضى والتنازع والفرقة ويتزايد معها المد النصراني ظهرت في المغرب العربي دولة قوية (دولة المرابطين) وقد بلغ اكبر اتساع لهذه الدولة على يد مؤسسها الحقيقي (يوسف بن تاشفين) وبعد تشاور وجد العلماء والوجهاء والقادة في الأندلس أن خير وسيلة للخروج من هذه الحال تكمن في دعوة المرابطين اليهم لتخليصهم من أزمتهم على الرغم من معارضة بعض ملوك الطوائف لهذه الفكرة. خوفاً على سلطانهم لكن الفكرة وجدت ترحيباً من بعض المخلصين من القادة امثال: المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية والمتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس، وعبدالله بن بلقين صاحب غرناطة لذا دعوا ابن تاشفين للقدوم إليهم وبناء على ذلك عبر جيش يوسف بن تاشفين البحر من سبته وانضم اليه المعتمد بن عباد وغيره من القادة ولما علم الفونسو السادس بالأمر حشد جنوده والتقى الجانبان في معركة فاصلة (الزلاقة) في اوائل رمضان ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م وقد حقق المسلمون نصراً كاسحاً وفر الفونسو يجرجر أثواب الخيبة والهزيمة وبعد هذا النصر عاد ابن تاشفين الى المغرب بعد أن أعاد لمسلمي الأندلس روح الثقة والعزة والكرامة لكنه اضطر للعودة ثانية إلى الأندلس في شهر رجب ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م للقضاء على بعض جيوب المقاومة وفي هذه المرة تبين له تخاذل ملوك الطوائف فعزلهم ووحد الاندلس وبدأ عصر المرابطين فيها لكن وفي الوقت الذي بذل فيه المرابطون مجهودات كبيرة لنصرة اخوانهم في الأندلس حدثت ثورات داخلية في المغرب بقيادة (محمد بن تومرت) مما أدى الى تراخي قبضتهم على الأندلس وبدأت المدن الأندلسية تتساقط على يد النصارى.

وفي ظل تلك الظروف ظهرت في المغرب قوة جديدة تمكنت من القضاء على المرابطين وهم «الموحدون» وذلك سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م حيث عبر «عبدالمؤمن بن علي» أول خلفاء الموحدين البحر نحو الأندلس وتمكن من توحيد معظم ما بقي من مناطق بيد المسلمين لكن هذه الفترة لم تدم طويلاً إذ ضعف الموحدون ودب الخلاف بينهم مما أطمع النصارى من جديد وقويت شوكتهم وتمكنوا من هزيمة الموحدين في معركة العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م وتساقطت مدن المسلمين ولم يبق إلا مدينة غرناطة.

وقد تميز عهد الموحدين بظهور عدد من العلماء الكبار كما شهدت الأندلس نهضة عمرانية وعسكرية وفي عهد الموحدين بُني جامع إشبيلية ذو المئذنة الشهيرة (لا خيرالدا) التي لا تزال صامدة حى يومنا هذا والتي يبلغ ارتفاعها ٩٦ متراً.

٧- عصر مملكة غرناطة
٦٣٠-٨٩٧هـ/ ١٢٢٣-١٤٩٢م

بعد هزيمة الموحدين في معركة العقاب أمام الجيوش الاسبانية والأوروبية المتحالفة معها ظهر محمد بن يوسف بن نصر أو «ابن الأحمر» الملقب بـ (الغالب بالله) فبايعه الناس واتخذ من غرناطة عاصمة لملكه بعد ان سقطت معظم مدن الأندلس بيد الأسبان فحصنها ليتمكن من الصمود أمام المد النصراني المتزايد. وقد تعاقب على عرش غرناطة عشرون ملكاً كان أخرهم ابو عبدالله محمد الذي لم يتمكن من الصمود أمام الحصار المفروض على المدينة واضطر لتسليم مفاتيح غرناطة للاسبان في الثاني من ربيع الأول ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م وقد شهدت غرناطة في عهد بني الأحمر إزدهاراً معمارياً وعلمياً وصناعياً كما برز في هذه الفترة عدد من العلماء والأدباء من أمثال: ابن البيطار وابن خاتمه، وابن الخطيب وغيرهم كثير..

وهكذا سقطت الأندلس بعد أن كانت قد وصلت الى أعلى درجات الرقي والإزدهار، خلال تطور الحضارة الإسلامية لكن تبقى الحقيقة قائمة وهي أن نعرف الأسباب التي أدت الى هذه الفاجعة حتى نفهم أن ما أصابنا في الأندلس ليس إلا سنة من سنن الله في قيام الدول والحضارات والتي لابد أن تأخذ مجراها دون محاباة لشعب أو أمة من الأمم.. انها نتيجة طبيعية لحال الانقسام والتمزق والبعد عن منهج الله في الأخلاق والعقيدة والمعاملة «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» (الأحزاب ٦٢).

الموريسكيون

بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م تعرض المسلمون في الأندلس للتنكيل والتعذيب والتقتيل والنفي والتهجير الأمر الذي دفع كثيراً منهم للثبات والبقاء رغم المعاناة واختار فريق منهم الهجرة إلى البلاد الإسلامية الأخرى هرباً بدينهم وقد أطلق على من بقى من المسلمين في الأندلس «الموريسيكيون» ومفردها «الموريسيكي» وهي تصغير لكلمة «مورو» التي يطلقها الاسبان على أهل المغرب العربي وقد تضمنت معاهدة تسليم غرناطة حقوق وواجبات هؤلاء لكن بنود هذه المعاهدة سقطت واحداً تلو الآخر وفرض على المسلمين تغيير دينهم وأسمائهم واستخدمت محاكم التفتيش التي شكلها الأسبان لهذه الغاية شتى صنوف الذل والقهر والتنكيل والتعذيب ومصادرة الأموال ورغم ذلك واصل المسلمون شعائرهم الاسلامية في العلن حيناً وفي السر تارة أخرى وبعد مناقشات مستفيضة من قبل رجال الكنيسة ورجال الحكم تقرر طرد الموريسيكيين من اسبانيا كلها ونفذ القرار في الفترة ما بين ١٦٠٩-١٦١٤م وبهذا الطرد انتهى فصل من فصول العلاقات الحضارية بين الإسلام والنصرانية في بلاد الأندلس.

معركة بلاط الشهداء
رمضان ١١٤هـ
اكتوبر ٧٣٢م

لعل معركة بلاط الشهداء المعروفة لدى المؤرخين الغربيين «بمعركة تور آو بواتييه» أهم المعارك التي واجهتها اوروبا من المسلمين الزاحفين من الاندلس على سهول وجبال فرنسا الجنوبية او غاليس او الغال، كما كانت تسمى فرنسا، ولولا صد وهزيمة ذلك الجيش الاسلامي الزاحف بقيادة البطل «عبدالرحمن الغافقي» لما بقيت النصرانية ولساد الاسلام والقرآن ولاستمر نداء الأذان حتى الآن بجوار بعض الكنائس فأغلب المؤرخين الغربيين يولون هذه المعركة اهمية كبرى في تقرير مصير اوروبا وقد ظهرت نغمة في كتابات بعض الكتاب في اوروبا في هذه الايام ممن يجعلون الاسلام والمسلمين العدو الجديد والبديل للشيوعية والشيوعيين ويستثيرون الهمة لاحياء مجد تلك المعركة ووقوف اوروبا صفا في مواجهة الاسلام والمسلمين كما وقفوا في معركة «تور آو بواتييه» وفي رأي بعض المؤرخين لولا هزيمة المسلمين لاتصل الفتح مع غرب اوروبا حتى يبلغ شرقها حيث عاصمة الدولة البيزنطية قسطنطينية التي استعصى فتحها على المسلمين حتى بعد تاريخ تلك الموقعة في عام ٧٣٢م الموافق ١١٤هـ رغم محاولات الخلفاء من عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وخلافة الأمويين والعباسيين فقد تأخر فتحهم لها مع انهم استطاعوا القضاء على الدولة الفارسية والرومانية الغربية وتم فتح الشام ومصر والشمال الافريقي وامتدت الفتوح من السند الى المحيط والاندلس حتى فتحت قسطنطينية عام ١٤٥٣م في عهد العثمانيين.

من هو عبدالرحمن الغافقي؟

اختير عبد الرحمن الغافقي واليا علي الاندلس عام ١١٣هـ/٧٣١م. بعد ان مرت بالاندلس فترة من الاضطرابات والمنازعات فاستطاع ان يخمد الفتنة بحزمه وحكمته وان يرسي قواعد العدل والنظام في حكمه للبلاد، وكان الى جانب حسن إدارته قائدا عرف بشجاعته مع صلاحه وحلمه ونزاهته، وقد استطاع ان يجمع القبائل تحت إمرته وأن يبعث روح الجهاد في تلك البلاد وكانت قد خمدت جذوتها، والمصادر التاريخية بصفة عامة لاتعطينا إلا النذر عن حياته وشخصيته فمثلا صاحب نفح الطيب يذكر عنه في الجزء الاول: قدم عبدالرحمن بن عبدالله من قبل عبيدالله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها سنة ثلاث عشرة وغزا الافرنجة وكانت له فيها وقائع واصيب عسكره في رمضان سنة اربع عشرة في موضع يعرف ببلاط الشهداء وبه عرفت الغزوة وكانت ولايته مدة سنة وثمانية اشهر.. وجاء في الجزء الثاني «ثم قدم واليا على الاندلس من قبل عبد الله بن الحبحاب صاحب افريقية الى ان استشهد».

مسيرة جيش المسلمين الاندلسي بقيادة عبدالرحمن الغافقي

بعد إن قضى عبدالرحمن على الفتنة في الولايات الشمالية سار بجيشه مخترقا ارجون ونافار ودخل فرنسا في ربيع ٢٣٧م والتقى بجيش الدوق أودو على ضفاف نهر الرون فهزمه بعد معركة هائلة واستولى على مدينة آرل ثم عبر بجيشه نهر الجارون واستولى على ولاية اكوتين التي تشمل عدة مقاطعات من فرنسا الحديثة جويان وبيرجور وسانتونج وبواتو وفندة، ثم عاد الجيش الاسلامي بقيادته نحو الرون واخترق برجونية واستولى على ليون. وبيزانصون ووصلت القوات قريبا من باريس بنحو مئة ميل، وعاد الجيش ليواصل زحفه وانتصاراته غربا الى ضفاف اللوار قاصدا العاصمة الفرنسية بعد ان أتم فتح نصف فرنسا الجنوبي كله.

بعد ان حقق عبدالرحمن الغافقي بجيشه الجرار انتصاراته الكاسحة للجيوش وللمدن لاتعوقه الجبال او الانهار أو الحصون وقد سحق كل مقاومة كأن جيشه عاصفة ولكنها عاصفة بعدها هدوء وامن وسلام وسلامة بعد القضاء على اعدائه وقد حاصر مدينة تور وفتح حصونها وقضى على جيشها وحمل منها غنائم اضافها الى ماسبق حمله من مواقع مما جعل الجيش ينوء بحملها. وكان ذلك بداية الانشغال بالمال وحيازته، وقد كان الهدف الاول للجندي المسلم ان يظفر او يلقي الشهادة وكأنما الجنود قد غفلوا عن قوله تعالي: «تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم» (الانفال/٦٧) ولما رأى الفرنجة الخطر القادم عليهم استعدوا له لما علموا بزحف جيش المسلمين.

تجمعت جموع الفرنجة بقيادة محافظ القصر شارل مارتل الذي جمع الجيوش من اهل غالة «الفرنسيين» وشتات اوروبا من القبائل الجرمانية التي تغلب عليها الوثنية في أعداد ضخمة وتتضارب الاقوال بشأنها كما تتضارب بشأن اعداد المسلمين وكانت اغلب قبائل الفرنجة بدائية كأنها حيوانات الغابة تلبس جلود الحيوانات المفترسة وترسل شعرها كالقردة وكان في الجانبين عدد كبير من الفرسان وفي جانب الفرنجة أعداد من المرتزقة. سار جيش الفرنجة لملاقاة جيش المسلمين محتميا بالمرتفعات متقدما بين شعابها كوحوش الغابات حتى التقى الجيشان عند تفرع نهر اللوار عند السهل بين بواتييه وتور. ودارت عدة معارك استطلاعية وفرعية بين الفرسان ثم جاءت المعركة الفاصلة في رمضان ١١٤هـ/ أكتوبر ٧٣٢م وقد استعد لها الجيشان وكأنما اراد كل طرف ان يحدد مستقبل الاسلام او النصرانية في اوروبا، فجيش لم يعرف غير النصر وقد امتلأ حماسة وايمانا به وهو جيش المسلمين وقد حمل معه اسلابا وغنائم واموالا ضخمة من كل موقعة وبلدة مر بها وقد جعل لتلك الغنائم معسكرا خلفه، وجيش جمعه قائد الافرنج شارل مارتل يحفزه حب الدفاع عن وطنه غاليس حتى لاتكون امتدادا للاندلس ودفعا للاسلام وطمعا في الغنائم خاصة وان القبائل والمرتزقة لا يعنيهم من القتال شيء غير الغنائم. وقد بدأت المعركة بين الفرسان ثم حمى وطيسها والتحم الجيشان ولكنها لم تحقق فوزا لأحد الجانبين وقد هدأ القتال في المساء وفي اليوم التالي استأنفا القتال وأوشك المسلمون ان ينتصروا لولا ان حدثت ثغرة نفذ منها جند من الفرنجة قريبا من معسكر الغنائم.

ومع ذلك فان المعركة لم تحسم لصالح الفرنجة وقد ثبت جانب من جيش المسلمين مؤثرين الشهادة وانتظر الفرنجة الصباح اذ لم يجرءوا على مواصلة الهجوم بالليل رغم ماحققوه فان الخوف من المسلمين لايزال يملؤهم رعبا، ولكن جيش المسلمين وقد فقد صفوة ابطاله وعلى رأسهم البطل «عبد الرحمن الغافقي» و تبينوا فداحة مانزل بهم آثروا الانسحاب ورضوا من الغنيمة بالاياب يحملون ما يستطيعون حمله من الجرحى بدل الغنائم ويجدون في السير بالليل، فلما اصبح الصباح فوجىء الجيش الاوروبي بانسحاب المسلمين فكانت فرحتهم البالغة ومع ذلك لم يجرءوا على مطاردتهم لما عرفوا من بأسهم واكتفوا من المعركة بهذه النتيجة.

قصر الحمراء أحد روائع الحضارة الإسلامية في الأندلس

يُعد قصر الحمراء من أعظم الآثار الأندلسية بما حواه من بدائع الصنع والفن المعماري الراقي وقد كانت الحمراء قلعة متواضعة في القرن الرابع الهجري وعندما تولى (باديس بن حبوس) زعامة غرناطة اتخذها قلعة لملكه وأنشأ سوراً حول التل الذي تقع عليه ولما دخل محمد بن الأحمر غرناطة عام ٦٣٥هـ/ ١٢٢٨م اتخذ من موقع الحمراء مكاناً لقصره وانشأ فيه عدداً من الأسوار المنيعة واضاف اليه الحدائق الغناء وفي عهد السلطان يوسف الأول وولده محمد الخامس شهد القصر العصر الذهبي لعمليات الإنشاء والتطوير والتجديد حيث اقيم السور الذي يحيط بالحمراء بأبراجه وبوابته العظمى المعروفة بباب الشريعة وتم تشييد قصر السباع وقاعة الملوك ويقول المؤرخون أن قصر الحمراء سُمي بهذا الأسم بسبب احمرار ابراج غرناطة الشاهقة ويقول أخرون أن ذلك يرجع للون الطوب الأحمر الذي بنيت به الأسوار الخارجية أو الى لون التربة التي بنيت عليها والتي اكتست لونها الأحمر من كثرة اكسيد الحديد فيها وأياً كان الأمر فليست هناك صلة بين الاسمين «الحمراء وبنو الأحمر» الذي لقبوا بهذا بسبب احمرار شعر جسدهم ولم يلبث أن ارتبط كلاهما بالآخر.

مجلة الوعي الإسلامي تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي - صندوق البريد: ٢٣٦٦٧ - الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٤٧٠١٥٦ / ٨٤٤٠٤٤ / ٢٤٦٧١٣٢ - فاكس: ٢٤٧٣٧٠٩ (+٩٦٥) / موقع الوزارة على شبكة الإنترنت Homepage: www.islam.gov.kw - موقع المجلة على شبكة الإنترنت www.alwaei.com - البريد الإلكتروني: Email: alwaei@alwaei.com